



تحولات السياسة الخارجية التركية
بعد انتخاب أردوغان تجاه الخليج العربي
عبد الله الحبابي
المغرب

ملخص:

السياسة الخارجية التركية خلال فترة حكم حزب العدالة والتنمية عرفت عدة تحولات مختلفة، تحولات في الأهداف وليس في الوسائل فقط، وذلك بناء على تحديات إقليمية ودولية في العقد الأخير؛ ففي الفترة الأولى من حكم حزب العدالة والتنمية، تبنت النخب السياسية الجديدة نموذج سياسة خارجية جديدة تعطي الأولوية القصوى للتكامل والتعاون مع الدول الإقليمية، خاصة في مجالات الاقتصاد والدبلوماسية التي ستحوّل السياسة الإقليمية من التفاهم المدفوع بالمصالح الأمنية المشتركة إلى علاقة أكثر مرونة ذات قيم مشتركة.

Abstract

Turkish foreign policy during the Justice and Development Party's rule has undergone several distinct transformations—changes in objectives, not just in means—based on regional and international challenges over the past decade. During the first period of the Justice and Development Party's rule, the new political elites adopted a new foreign policy model that prioritized integration and cooperation with regional states, particularly in the areas of economy and diplomacy. This shifted regional policy from an understanding driven by shared security interests to a more flexible relationship based on shared values.



مقدمة:

تلعب المؤثرات الجيوسياسية والجيواقتصادية دوراً مهماً في تحقيق أهداف السياسة الخارجية، فهي من أهم العوامل في تحديد هذه الأهداف؛ كما أن تأثيرها يمتد إلى بنية المجتمع الدولي المعاصر. لأن تطور الدول وتشابك علاقاتها الخارجية لها ارتباط وثيق بالمحددات التي تصنعها العوامل الجيوسياسية، من جغرافيا وتاريخ وسكان واقتصاد بمعناها الواسع، فالمناخ وطبيعة الأرض والموارد الاقتصادية كلها عناصر مفسرة ودالة على التصرفات الإنسانية والسلوكيات السياسية للأنظمة السياسية في مجتمع ما وتشكل بالضرورة الأسس السياسية للسياسة الخارجية.

وتركيا إحدى الدول التي تتمتع ببنية جيوسياسية متميزة جعلتها تحتل مكانة رائدة في المجتمع الدولي، وبفضل سياساتها المختلفة عن الماضي، التي كانت أهدافها تتعلق بالترويج للسلام والديمقراطية والحرية والأمن في الداخل والخارج، وتعزيز مصالح تركيا بطريقة سلمية. وقد اختلفت أهداف السياسة الخارجية في العقد الأول من حكم حزب العدالة والتنمية، مثل: التوازن بين الأمن والديمقراطية في الدولة من أجل تأسيس مجال للتأثير في البيئة المجاورة، وسياسة صفر مشاكل مع الجيران، وتطوير العلاقات الجيدة مع المناطق المجاورة وما وراءها، وتأسيس علاقات متعددة التوجهات مع الأطراف الدولية على أساس الوفاق وليس التنافس، والدبلوماسية المتناغمة عبر الوجود في كل المنظمات الدولية والإقليمية، إلى أهداف السيطرة والتحالفات الإقليمية والتناقض في المواقف وكلها أهداف فرضتها الظروف الدولية المتوترة والأخذة في التنامي.

وتعتبر الانتخابات التركية محطة مهمة لدول العالم، وخاصة لدول الخليج العربي، باعتبار الدور الذي باتت تلعبه تركيا في المنتظم الدولي، وثقلها الاقتصادي كدولة سريعة النمو، ولذلك نجد اهتماماً كبيراً من لدن الطبقة السياسية بهذه الاستحقاقات الانتخابية. وفي هذا الصدد أسفرت جولة الإعادة في الانتخابات التركية، التي انتهت في 28 مايو/أيار، عن نتيجة 52٪ مقابل 48٪ لصالح الرئيس رجب طيب أردوغان، الذي فاز على منافسه كمال كليجدار أوغلو، زعيم حزب الشعب الجمهوري العلماني المنتمي إلى يسار الوسط. كانت هذه النتائج متوقعة بشكل أساسي، فالفارق كان ضئيلاً للغاية في الجولة الانتخابية الأولى، حيث لم يحصل أردوغان على الأغلبية المطلوبة.

وتسعى هذه الورقة إلى معرفة تأثير السياسة الخارجية التركية بعد انتخاب أردوغان على دول الخليج العربي.

ولمقاربة هذا الموضوع نقترح الخطة التالية:

الإشكالية: إلى أي حد أثرت تحولات السياسة الخارجية على تجاه الخليج العربي؟

المحور الأول: تحولات السياسة الخارجية التركية تجاه الخليج العربي

المحور الثاني: تأثير إعادة انتخاب أردوغان على الخليج العربي



المحور الأول: تحولات السياسة الخارجية التركية تجاه الخليج العربي

إذا كان مفهوم السياسة الخارجية ينصرف إلى النشاط الذي تمارسه الدولة في الميدان الدولي عن طريق مؤسسات وأدوات معينة، بغية تحقيق أهداف محددة فإن ثمة متغيرات متعددة داخلية وخارجية، تؤثر في السياسة الخارجية لتركيا، يأتي في صدارتها متغيرات داخلية تتضمن متغيرات سياسية، والتي تضم القوى الفاعلة على الساحة التركية، وهي الأحزاب السياسية والمؤسسة العسكرية وجماعة المصالح وقوى الضغط ووسائل الإعلام، والرأي العام التركي كذلك تضم قضايا التطرف الديني والقومي. وكذلك تتضمن المتغيرات الداخلية المتغيرات الاقتصادية كمتغير مهم مؤثر في السياسة الخارجية التركية. أما المتغيرات الخارجية فتتضمن متغيرات إقليمية ومتغيرات دولية منها المتغير الإيراني، والمتغير العربي ثم المتغير الإسرائيلي. بينما المتغيرات الدولية فتتضمن المتغير الأمريكي، ومتغير الاتحاد الأوروبي ومتغير حلف الأطلسي ثم كذلك المتغير الروسي. وتفرض هذه المتغيرات المتداخلة والمتفاعلة تأثيراً متبادلاً على صانع القرار للسياسة الخارجية التركية، وتدفعهم للتعامل بحذر، وتوازن لتحقيق مصالح تركيا. وعلاقة تركيا مع العراق تؤثر فيها المتغيرات الداخلية والخارجية التي ذكرناها بسبب خصوصية الساحة التركية التي تتداخل فيها دوائر هذه العلاقات، وتتطلع تركيا للقيام بدور إقليمي رائد وإعطاء فرصة للسلامة الأتراك لإعادة النظر بدور تركيا على الصعيدين الإقليمي والدولي، بتدخلاتها في المنطقة العربية من خلال تحالفها مع الغرب، أو من خلال تعاونها السياسي والعسكري مع إسرائيل، وعليه يمكن القول، إن السياسة الخارجية الإقليمية التي بدأت تمارسها تركيا ما بعد إعادة انتخاب أردوغان تشكل مجالا خصبا للدراسة¹.

لقد برز التحول الأول في من خلال توطيد علاقاتها مع بعض الدول وملء الفراغ الذي بدأ يتركه انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية. فالحالة الجيوسياسية التي تشهدها منطقة الخليج العربي، تنبئ بتقلبات جديدة مع بروز فاعلين جدد ينافسون القوى التقليدية التي بدأت الأحداث تستنزفها؛ ولعل أبرز فاعل ظهر على الساحة مؤخرا الدور التركي المتنامي شيئا فشيئا وذلك كله بعد الفراغ الذي خلفته الولايات المتحدة الأمريكية فضلا عن تراجع المشروع العربي بزعامة المملكة العربية السعودية.

لقد أدت التحولات التي عرفتتها السياسة الخارجية التركية إلى فتور في علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الإسرائيلي وسعي الأتراك إلى تحقيق مكاسب أكبر مع الدول العربية وخاصة الخليجية باعتبارها تشكل عمقا استراتيجيا على المستويين الحضاري والواقعي، لا سيما مع انسداد أفق الانضمام للاتحاد الأوروبي، وقد أثر ذلك في علاقات تركيا مع حلفائها التقليديين الأوروبيين والإسرائيليين عبر عقود سابقة، وإن أي تحسن في علاقاتها مع العرب أو دول إسلامية سيكون على حساب علاقاتها مع أولئك الحلفاء التقليديين. ولعل التحول السياسي التركي الجديد نحو العالم العربي يشكل مرتكزا وأهمية للطرفين، وينعكس على الأمن الإقليمي والعلاقات الإقليمية والدولية لكل منهما. إن سياسة تركيا الجديدة المتطلعة لتولي دور ريادي في المنطقة هي من أهم الأسباب التي أدت إلى تغير سياسة تركيا تجاه المنطقة برمتها، فوفقا لمنهجية أحمد داوود أوغلو مهندس السياسة الخارجية التركية في عهد حزب العدالة والتنمية، فإن تركيا ستسعى إلى تصفير المشاكل مع جيرانها، وإلى تحسين العلاقات وتسوية النزاعات معهم، سعيا للتفرغ إلى دور قيادي في المنطقة؛ لأن تدهور العلاقات التركية الإسرائيلية عقب معركة غزة 2008/2009 وبعد الاعتداء الإسرائيلي على أسطول الحرية وسفينة مرمرة التركية تحديدا عام 2010 ثم ما أحدثته الثورات الشعبية العربية في وجه الأنظمة الفاسدة والمستبدة، جعل تركيا تتطلع إلى دور أكبر في تحقيق شراكة سياسية مع العالم العربي والخليجي التي من المتوقع أن يسود فيها حكم ديمقراطي يبعث على تحقيق الأمن والاستقرار، وتوفير فرص النمو والازدهار الاقتصادي في تلك الدول ومن يتحالف معها².

فالسياسة الخارجية التركية خلال فترة حكم حزب العدالة والتنمية عرفت عدة تحولات مختلفة، تحولات في الأهداف وليس في الوسائل فقط، وذلك بناء على تحديات إقليمية ودولية في العقد الأخير؛ ففي الفترة الأولى من حكم حزب العدالة والتنمية، تبنت النخب السياسية الجديدة نموذج سياسة خارجية جديدة تعطي الأولوية القصوى للتكامل والتعاون مع الدول الإقليمية، خاصة في مجالات الاقتصاد والدبلوماسية التي ستحوّل السياسة الإقليمية من التفاهم المدفوع بالمصالح الأمنية المشتركة إلى علاقة أكثر مرونة ذات قيم مشتركة.



وبالرغم من أن تركيا كانت تحاول بناء "وعي جماعي جديد" في المنطقة من خلال تقديم أولويات المطالب الجماهيرية، والتعاضد السلمي والنظام العادل، إلا أن التحول الراديكالي للسياق الإقليمي والتغيرات الجوهرية المشهودة على المستوى الدولي تجربنا على التدقيق في المراجعات والتغيرات في سياسة تركيا الخارجية؛ حيث تتطلب مسألة حيوية الخطاب التركي وممارسات السياسة الخارجية تجاه التطورات الحديثة في الخليج العربي تحليلاً للآليات الجديدة وسعي تركيا لإعادة تحديد موقفها في مواجهة التطورات التي أثارها الربيع العربي ومختلف تحولاته وتداعياته.

وقد شكّل الربيع العربي في 2011 تحولا ثانيا في السياسة الخارجية التركية تجاه الخليج العربي؛ فقد كانت الثورات في العالم العربي مرغوبة، ولكنها غير متوقعة بالنسبة لأنقرة. وكان هذا هو السبب في أن حكومة أردوغان في البداية لم تكن حاسمة بشأن كيفية الاستجابة لهذه الانتفاضات الشعبية، مثلها في ذلك مثل حكومات معظم دول العالم. ومع ذلك، كان هناك شيء واحد واضح، ألا وهو الوقوف في صف المطالب الشعبية المشروعة في هذه الدول. ومع ذلك، اختلفت طريقة إظهار هذه المساندة من حالة لأخرى. وكان هذا يوضح كيف استجاب أردوغان فعلاً للتحديات التي واجهت سياسته الخارجية في المنطقة نتيجة الصحوّة العربية؛ حيث انحاز إلى الشعوب التي كانت تتور ضد الديكتاتوريات المدعومة عبر عقود طويلة من الغرب. وهنا بدأ تهمز علاقتها مع المملكة العربية السعودية والامارات العربية المتحدة لاختلاف الرؤى حول أحداث الربيع العربي، فالسعودية والامارات كانتا ضد هذا الحراك واستعملتا جميع الوسائل لإفشاله بينما تركيا كانت داعمة له وهو ما جعلها تلتقي مع وجهة نظر قطر في دعمهما لأحداث الانتفاضات العربية.

كما أولت تركيا تأسيس القواعد العسكرية في الخارج أهمية كبيرة إثر تزايد التنافس الإقليمي، خاصة ما بعد الربيع العربي. وبدأت بالقاعدة العسكرية في قطر حيث تجمعها علاقات استراتيجية وتفاهات إزاء القضايا الإقليمية، وسرع اندلاع الأزمة الخليجية، في حزيران/ يونيو 2017، في بناء هذه القاعدة الذي يعود قرار تأسيسها فعليا إلى آذار / مارس 2014 عندما وقع البلدان اتفاقية دفاعية شاملة، للدفاع عن مصالحها الإقليمية المتزايدة في منطقة الخليج العربي³.

أما التحول الآخر في السياسة الخارجية التركية فقد برز تقوية مكانة مؤسسة الرئيس في البناء السياسي للدولة من خلال شخصية أردوغان خصوصا بعد نجاحه في تغيير النظام من برلماني إلى رئاسي، وهنا ظهرت شخصية أردوغان وتأثيره في العقدين الماضيين ليس في الشأن الخارجي فحسب، وإنما في السياسة التركية المعاصرة برمتها. ولا يمكن أن يُصنّف أردوغان وفق توصيفات مبسطة، فهناك نقاش مستمر حول سمات شخصيته وكيفية تأثيرها في خيارات تركيا وتوجهاتها السياسية خصوصا تجاه الخليج العربي. وبحسبه، يُعرف عن أردوغان أن ثمة سمات شخصية دفعته إلى المقدمة، ومنها مثلاً اعتقاده الجازم بأن في إمكانه التأثير في ما يحدث في البيئة السياسية من حوله في تركيا والعالم، وهذا ما جعله أكثر اهتماماً ونشاطاً وانخراطاً في عملية صنع السياسة، والاعتقاد بالقدرة على السيطرة على الأحداث، وهو ما يؤدي إلى توجه سياسي استباقي، وإدراك أن الحواجز التي تحول دون العمل الناجح يمكن التغلب عليها.

المحور الثاني: تأثير إعادة انتخاب أردوغان على الخليج العربي

لعبت شخصية أردوغان دورا محوريا في السلوك السياسي التركي من أجل تنفيذ السياسة الخارجية لتركيا، وتحقيق الاستقلالية الاستراتيجية ومناكفة الغرب خاصة فرنسا في مواجهة الغموض السائد في المنطقة. كما حاولت تركيا أيضاً تطبيق سياسة أكثر نشاطاً في مواجهة عملية التحول الإقليمية. ومع ذلك، لم يكن لهذه الجهود أي أثر جيوبوليتيكي جوهري لاحتواء الاضطراب الذي وُلِد في فترة ما بعد الربيع العربي في المنطقة.

وما يظهر أولوية الخليج العربي في سياسة تركيا هو أن الدوحة كانت أول عاصمة عربية يزورها رجب طيب أردوغان، بعد توليه منصب الرئاسة في تركيا. لم يكن هذا الاختيار عادياً، إذ عكست الزيارة وقتها الشراكة المتصاعدة بين أنقرة والدوحة، والتحالف الذي شكّلاه في المنطقة في أعقاب تحولات 2011. كان من بين الاتفاقات التي وقعها الجانبان بعد إنشاء اللجنة الاستراتيجية المشتركة بينهما في 2014 اتفاقية للتعاون الدفاعي، أجازت لأنقرة نشر قوات عسكرية في قطر. تُرجمت هذه الاتفاقية على أرض الواقع في 2017، عندما وافق البرلمان



التركي على نشر قوات في القاعدة العسكرية التركية في الدوحة، في رسالة دعم لقطر بعد المقاطعة التي فرضها التحالف الرباعي، بالسعودية والإمارات والبحرين ومصر، عليها. وشكّلت الأزمة الخليجية نقطة تحوّل جديدة في التحالف القطري التركي، ونقلته إلى مستوى أكبر من التعاون الذي تطوّر فيما بعد إلى دعم قطر تركيا في أزمة الليرة في 2018، باستثمارات مباشرة بلغت 15 مليار دولار، فضلاً عن بروز الدوحة صوتاً عربياً معارضاً للبيانات العربية ضد تركيا في جامعة الدول العربية، بالإضافة إلى التنسيق بين البلدين في القضايا الإقليمية، كليبيا وسوريا.

أما التحول الآخر لسياسة تركيا الخارجية فقد تمثلت في عودة الدفء للعلاقات التركية الخليجية خاصة مع المملكة العربية السعودية بعدما وصلت مرحلة خطيرة إبان مقتل خاشقجي، وكذلك مع الإمارات، متمثلة في زيارة الرئيس التركي لدولة الإمارات العربية المتحدة، في فبراير 2022، كجزء من مسار التحول في السياسة الخارجية التركية تجاه قوى إقليمية كانت على خصومة معها استمرت لسنوات. حرص أردوغان على التأكيد على أن هذه الزيارة، التي وُقعت خلالها عدة اتفاقيات ومذكرات تفاهم بين الجانبين، تمثل مقدمة لمرحلة جديدة ومختلفة في علاقات البلدين وكذلك في علاقات بلاده مع دول الخليج⁴. خصوصية الزيارة تنبع من كون البلدين مثلاً طرفي النقيض في حالة الاستقطاب الإقليمي لسنوات عديدة، وكانت الخصومة بينهما هي الأشد في المنطقة، حيث تبادلا اتهامات تتعلق بقضايا الأمن القومي. وقد كان من أسباب تحول السياسة الخارجية التركية تجاه بعض دول الخليج هو تراجع أسباب الاستقطاب خاصة الانقلاب في مصر، عام 2013، الذي مثل محطة أساسية للخلاف بين الجانبين، ثم أتت أزمة حصار قطر التي وقفت فيها تركيا إلى جانب الأخيرة لتعمق الاستقطاب أكثر. ومثل، كذلك، المد الإيراني عاملاً أساسياً في هذا التحول، مع احتمالية توقيع الولايات المتحدة مع إيران اتفاقاً جديداً بخصوص برنامجها النووي، وسيؤثر على تواجد تركيا في المنطقة مما حتم معه ضرورة إعادة علاقاتها مع دول الخليج وعلى رأسهم السعودية والإمارات.

ولا شك أن تراجع حدة الاستقطاب في المنطقة، وانخفاض التوتر في عدد من النزاعات الإقليمية سيشكل حافزاً لبناء مسار جديد من العلاقات قوامه التعاون بين الطرفين، بدل مواجهة بعضهما البعض واستنزفت الطرفين دون نصر كامل وناجز لأحدهما على الآخر، إضافة لحاجة مختلف الأطراف للتهدئة ورفع التعاون التجاري والاقتصادي.

وجملة القول، فالتصورات المستقبلية للعلاقات التركية الخليجية لا يمكن التنبؤ بها سريعاً دون الإحاطة بمختلف خيوط العلاقات المتشابكة والمعقدة، فالمنطقة لا زالت تعاني من حالة الاضطراب الذي خلفه تباين الرؤى بشأن أحداث ما عرف بالربيع العربي، فهذا التحول من الفوضى في العلاقات الإقليمية والإقليمية والعلاقات التركية الخليجية إلى مرحلة إعادة الاستقرار لهذه العلاقات يتطلب وقتاً كافياً في بناء أرضية مناسبة لتجاوز المرحلة الماضية، وبناء جسور الثقة لاستئناف التعاون في المجالين، الاقتصادي والدفاعي. كذلك فإن عملية إعادة ترميم الثقة بين خصوم الأمس قد تستغرق وقتاً طويلاً، بالنظر إلى الأضرار الحادة التي خلفتها المرحلة الماضية على العلاقات التركية الخليجية. قبل اكتمال معالم الوضع الإقليمي الجديد، من المستبعد أن نشهد تحولات كبرى في الصراعات الإقليمية التي شكّلت المحرك الأساسي للخلافات التركية الخليجية في العقد الماضي.



الهوامش:

- ¹ حميد، محمد طالب، السياسة الخارجية التركية وأثرها على الأمن العربي، ط1 (العربي للنشر والتوزيع، 2016)، ص56
- ² التحول التركي تجاه المنطقة العربية، مجموعة مؤلفين، ط1 (عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط، 2012)، ص8
- ³ قدورة، عماد، السياسة الخارجية التركية: الاتجاهات، التحالفات المرنة، سياسة القوة، ط1 (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021)، ص18
- ⁴ بولنت آراس، التحول التركي تجاه المنطقة العربية، ط1، (الأردن، مركز دراسات الشرق الأوسط، 2012)، ص9